

المواصفات الفنية والبلاغية للحيوانات في كتاب نهج البلاغة

ناديا ثقييل پور^{١*}، سعدالله همایونی^٢، جلیل حاجی پور طالبي^٣

١. طالبة دكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة آزاد الإسلامية، آبادان

٢. أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة طهران

٣. ماجستير في اللغة العربية وآدابها من جامعة طهران

(تاريخ الاستلام: ٢٠١٦/٦/١٤؛ تاريخ القبول: ٢٠١٧/٦/٦)

الملخص

عندما نراجع كتاب نهج البلاغة، نجد أن بعض الحيوانات قد ذُكرت في أثناء الخطب والرسائل والكلمات القصار لمناسبات عديدة. منها لفظ «الإبل» و«ابن اللبون» و«الجمل». و«الناقة» بمناسبات كثيرة وذلك لأغراض بلاغية من أجل إيصال الفكرة والحث على المراد والتحريض على إثارة الهمم والتركيز على المبادئ الأخلاقية والمنهج القويم ومصالح الأمة أيضاً. تناولت هذه المقالة من خلال المنهج الوصفي- التحليلي التصوير الأدبي للمواصفات الفنية للحيوانات في خطب نهج البلاغة وتهدف إلى الكشف عن الدلالات والأغراض البلاغية الكامنة وراء هذا الاستخدام في وصف الحيوانات. ومن النتائج الحاصلة من وراء هذا البحث هو أن الإمام عليه السلام قد عبّر في نهج البلاغة بالأسلوب الأدبي والتصويري عن المعاني الغامضة السيمائية في وصف الحيوانات. وأن المعنى الذي أوحى به التصوير الفني في نهج البلاغة بوسائنها البلاغية لوصف الحيوانات كالاستعارة والتشبيه والكناية، يؤول إلى تصوير يقوّي المعنى ويجلي الصورة التي هي مدار الحس والخيال المعبر عن الواقع.

الكلمات الرئيسية

المواصفات الفنية والبلاغية، الصورة الأدبية، الحيوانات، الخطب، نهج البلاغة.

مقدمة

لاشك في أن الإمام علياً عليه السلام من بناء البيان العربي من خلال قدراته البيانية الخارقة التي كانت مصدر إلهام لكثيرين من الأدباء والعلماء عبر التاريخ، فصفحات التاريخ مليئة باعتراف كبار المهويين من الأدباء وأهل العلم سواء كانوا من المسلمين أو غيرهم بتأثيرهم بالإمام عليه السلام في أساليبهم البيانية. (حاجي خاني، ١٤٢٨هـ: ٤٧٦)

الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام هو امام البلغاء والمتكلمين، كما هو امام المتقين. وآيته في ذلك «نهج البلاغة» الذي يمثل، في أسس البيان العربي. كان الإمام علي عليه السلام يرتجل كلماته، يلقيها، في مجالس القوم، خلاصات تأمل، وفي محافلهم، خطبا تجيش في داخل الذات، فينطق بها اللسان عفو الخاطر، فتأتي محكمة «دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق».

لقد تعددت مواصفات الحيوانات والطيور منها والبهائم والحيوانات الأليفة لبيان الأغراض المستصاغة في خطب ورسائل نهج البلاغة في مناسبات عديدة وذلك أما لبيان نعم البراء عز وجل وللحث على الجهاد ولبين التوبيخ لأصحابه في تقاعسهم عن الجهاد أوتفادي الفتن. ومن أهم هذه الحيوانات المذكورة هي الإبل وابن اللبون والجمل والفصيل والثاقة وبيان لوازمها والنعام والفيل والمعز والماعز. يمثل الوصف أروع جانب أدبي في نهج البلاغة. والإمام في وصفه يتحرى الدقة والجمال والتأثير. وخطب الوصف «تبوؤ علياً ذروة لأتسامى بين عباقرة الوصّافين في القديم والحديث» (صالح، ١٤١٢هـ: ١٥٦).

لاشك أن الصّور الفنيّة وكيفيةها في أيّ عمل أدبي من أهم أركانها الجمالية في مقام التّقد والتحكيم. كلّما كانت هذه الصّور أكثر حركية وحيوية، ازدادت جمالاً وتأثيراً. فتصير المفاهيم الذهنية في متناول الحسّ. ومن هذا المنطلق كانت خطب الإمام علي عليه السلام خطوة كبيرة في مسير هداية النّاس وإرشادهم الفكري والوجدانيّ كما أن لها منزلة عالية من حيث الأدب والفن.

إنّ هذه الخطب مملوءة بالصّور الفنيّة المتحركة والدلالات التشبيّهة التي قد خلّقت جواً مملوساً ومحسوساً للمخاطبين.

وقد نرى لبعض الحيوانات والكائنات الحية دلالات رمزية وكنائية في الخطب. فهذه الدّلالات تُستخدَم من أجل الإيحاء وإيصال الفكرة والتواصل المستتر في الصّور الأدبية. إن

الصُّورُ الفنيَّة والجَمالُ البلاغي والدقائقُ الموجودةُ في العبارات اعطت مقدرةً وتشخصاً بالغاً لكلام الإمام علي عليه السلام. الذي هو فوق كلام البشر.

وأما بالنسبة لخلفية البحث يمكن الإشارة إلى: المقالة المعنونة بـ«الصورة الفنية في رسائل الإمام علي عليه السلام» لخليل برويني وآخرين طُبعت في مجلة آفاق الحضارة الإسلامية سنة ١٤٢٥هـ. قامت هذه المقالة بدراسة لأهم آليات الصورة الفنية في ثلاث رسائل من نهج البلاغة. وهناك مقالة أخرى بعنوان «حركية الصور الأدبية في خطب نهج البلاغة» لمرتضى قائمي طُبعت في مجلة «الجمعية العلمية الإيرانية للغة العربية وآدابها» سنة ١٣٩٠ش. ويبدو - على حسب ما أطلعنا عليه من الكتب والمجلات والمواقع الإلكترونية - إنه لم يكتب بحثٌ حول دراسة المواصفات الفنية والبلاغية للحيوانات في كتاب نهج البلاغة. أمّا دراستنا هذه فإنها تسعى إلى تسليط الأضواء على تلك الإعتبارات الفنيَّة والجَماليات البلاغية التي نظر إليها الإمام علي عليه السلام بعين الاعتبار.

أسئلة البحث:

(أ) ما هي أهم المواصفات الفنيَّة والبلاغية المذكورة للحيوانات في كتاب نهج البلاغة؟

(ب) ما هي أهم الأغراض الفنيَّة المعنية لوصف الحيوانات في كتاب نهج البلاغة؟

فرضيات البحث:

(أ) كان الإمام علي عليه السلام يجعل موضوعات الديانة والعدالة والجهاد في سبيل الحقّ و... في أذهان المخاطبين بواسطة الاستعارات والتشبيهات الواردة في وصف الحيوانات، وكانت هذه المواصفات جزءاً مهماً من خبرته الإدراكية الطبيعية لمشاهد الحياة من حوله.

(ب) إن الإمام علي عليه السلام قد جعل خطبه وبياناته أكثر تحركاً وفهماً بالاستخدام الدقيق للتشبيهات الحسيَّة والاستعارات القوية والألوان المتنوعة والأصوات الدالة على المعنى والتأبض والصُّور الفنيَّة الدقيقة. المذكورة في وصف الحيوانات.

أهداف البحث:

المحاولة في هذه المقالة هي تبين المواصفات الفنيَّة والبلاغية لبعض الحيوانات الواردة في كتاب نهج البلاغة مستندين في ذلك ببعض الشروح والتراجم مبينين من خلال ذلك الوجه البلاغية وأساليب الجمالية الواردة في الخطب والرسائل والأقوال الحكمية.

فالدراسة هذه هي دراسة فنية وموضوعية أيضاً، نذكرها على ترتيبها الأبجدي:

التشبيه بالإبل الهيم

يستخدم الإمام علي عليه السلام لفظة «الإبل» في أماكن عدة من خطبه لإيصال الفكرة لأصحابه لما فيها من مدلولات بلاغية وإيحاءات خطابية وذلك في تبيين مهام البيعة وتوارد الصحابة عليه وما كان أكثرهم حيث تواردوا عليه. فيشير الإمام عليه السلام إلى هذه الحادثة العظيمة التي غيرت مسار التاريخ وهم كانوا بأمس الحاجة إلى من يقود زمام أمور الأمة؛ لأنهم أصبحوا في متاهات كبيرة بعد قتل الخليفة الثالث. فأسرع أغلبية المسلمين إلى الإمام، وتزاحموا عليه تزاحم الإبل العطاش على الماء، ليبياعوه بالخلافة فيقول في ذلك: «فَتَدَاكُوْا عَلَيَّ تَدَاكُ الْإِبِلِ الْهَيْمِ يَوْمَ وِرْدِهَا، قَدْ أَرْسَلَهَا رَاعِيهَا وَخَلَعَتْ مَتَانِيهَا» (دشتي، ١٣٨٦: ٧٤).

والإبل الهيم: العطاش. يقال: رجل هيمان، وهائمٌ: شديد العطش، وهام على وجهه: ذهب، وجمعه: هيمٌ. (الاصفهاني، د.ت: ٨٤٨) و«مثنائي: جمع مثناة، وهي ما يعقل بها البعير. ثني عقال البعير ونحوه إذا عقلته بحبل مثنى» (الفراهيدي، ١٤١٠هـ، ج: ٨، ٢٤٢).

يصف الأمام علي عليه السلام بدايات البيعة إياه من قبل المسلمين وحال ورودهم علي الإمام في تجمعهم وكثرتهم ورغبتهم. فهم في حالتهم هذه كورد الإبل العطشى لمشرب الماء. فقد استخدم الإمام عليه السلام لبيان حالته أسلوب التشبيه باستخدام المصدر المضاف إلى فاعله وهو «تدأك الإبل الهيم». فالأقوام الواردة للبيعة هو المشبه والإبل الهيم مشبه به ووجه الشبه الشوق والعطش للورد. وهذا تشبيه مؤكد؛ لأن أداة التشبيه فيه لم تذكر ولكنه أتى بالتركيب الإضافي «تدأك الإبل».

وقد استعار الإمام عليه السلام لفظة «الهيم» وهو العطش الشديد عند الإبل للحالة السائدة آنذاك لدى المسلمين الواردين عليه في شأن البيعة للخلافة ثم أتى بالمواصفات المتتابعة لبيان حالهم باستخدام عبارة «أرسلها راعيها» أي تركها وساقها نحو المشرب ولم يمنعها وهي خالية من العذار والمعازل التي تربط فيها. فهذا الإطلاق الدلالي ينبئ عن تناسق الدلالات مع رعاية الفاصلة ودم في قوله: «قَدْ أَرْسَلَهَا رَاعِيهَا وَخَلَعَتْ مَتَانِيهَا» (دشتي، ١٣٨٦ش: ٧٤).

وفي خطبة أخرى يحث أصحابه على الجهاد ويؤيخهم على تقاعسهم عن القتال ويصفهم بالإبل التي غاب عنها راعيها فهي تكون في تخبط وتهميش أيضاً: «يَا أَشْبَاهَ الْإِبِلِ

غَابَ عَنْهَا رِعَاتُهَا كُلَّمَا جُمِعَتْ مِنْ جَانِبٍ تَفَرَّقَتْ مِنْ جَانِبٍ آخَرَ» (دشتي، ١٣٨٦ش: ١٢٨).
 لقد شبه الإمام عليه السلام أصحابه في حال تشتتهم بالإبل الفاقدة للراعي وكلما جمعت تلك الإبل تفرقت من جانب آخر. فنجد في هذا النص الاستعارة التصريحية حيث صرح بالمشبه به ويقصد من وراء ذلك التفرقة والتجمع وهذه هي حالة الإبل دون الراعي. والجامع هو الشّتات والتفرقة.

أ) التشبيه بالإبل الهيم المطرودة:

ونرى الإمام عليه السلام أيضاً يستخدم لفظة «الهيم المطرودة» التي تدفع عين حياض شربها وتمنع من وردها وذلك في تمجيد المقاتلين الأبطال حين المعركة في صفين؛ لأنه كان يشاهد انتصار أصحابه على جيش معاوية فيقول: تَرَكَبُ أَوْلَاهُمْ أَخْرَاهُمْ كَالْإِبِلِ الْهَيْمِ الْمَطْرُودَةِ تُرْمَى عَنْ حَيَاضِهَا وَتُذَادُ عَنْ مَوَارِدِهَا» (دشتي، ١٣٨٦ش: ١٤٠).

فكان أصحاب الإمام عليه السلام يحسّون أصحاب معاوية بالرّماح ويطردونهم عن المعركة ويطاردونهم وكانت فلول جيش معاوية كالإبل المطرودة عين الحياض يدوس بعضها بعضاً. فالتأنيث في أولاهم وأخراهم للكئاب. والهيم العطاش وتذاد تصد وتمنع وقد روي الطغاة عوض الطغام.

فشبه الإمام عليه السلام حالة انهزام كتائب جيش الشّام بحالة الإبل المدفوعة عن الحياض وهي عطشى يدفع بعضها بعضاً وتركب أولاهم أخراها. فالمشبه كتائب جيش الشّام والمشبه به الإبل الهيم المطرودة ووجه الشّبه هو التّدافع والانهزام. وهذا هو تشبيه محسوس بمحسوس ووجه الشّبه فيه هيئة منتزعة من متعدد.

ب) التشبيه بركوب أعجاز الإبل:

وعند بمطالبتة للخلافة نراه يستخدم عبارة «أعجاز الإبل» وهو تعبير كنائي لبيان الاهتمام بالقضية فيقول: «لَنَا حَقٌّ فَإِنَّ أُعْطِينَاهُ وَإِلَّا رَكِبْنَا أَعْجَازَ الْإِبِلِ وَإِنْ طَالَ السَّرَى» (دشتي، ١٣٨٦ش: ٤٤٦).

يقول الشّريف الرّضي: «وهذا القول من لطيف الكلام وفصيحته، ومعناه: أَنَا إِنْ لَمْ نُعْطَ حَقَّنَا كُنَّا أَذِلَّةً، وَذَلِكَ أَنَّ الرِّدِّيفَ يَرْكَبُ عَجْزَ الْبَعِيرِ، كَالْعَبْدِ وَالْأَسِيرِ وَمَنْ يَجْرِي مَجْرَاهُمَا» (دشتي، ١٣٨٦ش: ٤٤٦).

وقد ورد في الأمثال: «ركب في الطلب أعجاز الإبل». أي ركب الدُّل والمشقة والصبر وبذل المجهود في طلبه. (الميداني، ج٢: ٢٤١) والركب أعجاز الإبل هو الرديف أي الركب خلف الركب. والسرى: سير الليل، المراد به هنا طول الأمد. فقد استخدم الإمام علي عليه السلام لبيان حاله وانفصاله عن الخلافة الاستعارة التمثيلية بقوله: «أعجاز الإبل» ويقصد بذلك الصبر وتحمل المشقة والاحتمال، حتى ينال طلبه وبعد الأمد وطال به الزمان.

ولا خلاف بين أحد في أن الإمام كان يرى أنه أحق بالخلافة من جميع الصحابة دون استثناء. إنه احتج لحقه هذا بالحسن، أقواله في النهج وغير النهج صريحة في ذلك. وقال: ان أعطي هذا الحق عن رضا وطيب نفس فذاك، إن زاحمه عليه مزاحم صبر ولا يثير حرباً حتى ولو جاء رديف، بل ورابع، طال الأمد سنوات وسنوات.. لا لشيء إلا حرصاً على مصلحة الإسلام والمسلمين، خوفاً من الفتنة واشتقاق الكلمة. وهذا ما حدث بالفعل. وقيل: يجوز أن يكون مراد الإمام أنه إذا لم يحصل على حقه في الخلافة ركب الصعاب من أجله. وهذا المعنى قريب من دلالة اللفظ، بعيد عن الواقع؛ لأن الإمام ما زاد شيئاً عن النقاش والجدال بالتالي هي أحسن. أما تفسير الشريف الرضي بالذل فأبعد من بعيد؛ لأن الله ورسوله ﷺ يأبى الذلة لأهل البيت عليه السلام.

قال ابن أبي الحديد: «هذا الكلام تزعم الإمامية أنه قاله يوم السقيفة أو في تلك الأيام، ويذهب أصحابنا إلى أنه قاله يوم الشورى» (ابن أبي الحديد، ١٤١٥هـ: ٢٥٢).

قال ابن الأثير في النهاية: «ومنه حديث علي عليه السلام «لنا حق ان نعطه نأخذه، وأن نمنعه نركب أعجاز الإبل وإن طال السرى» الركوب على أعجاز الإبل شاق، أي: ان منعنا حقنا ركبنا مركب المشقة صابرين عليها وإن طال الأمد. وقيل: ضرب أعجاز الإبل مثلاً لتأخره عن حقه الذي كان يراه له وتقدم غيره عليه، وأنه يصبر على ذلك وإن طال أمد، أي: ان قدمنا للإمامة تقدمنا، وان أحرنا صبرنا على الأثرة وإن طال الأيام. وقيل: يجوز أن يريد وان نمنعه نبذل الجهد في طلبه، فعل من يضرب في ابتغاء طلبته أكباد الإبل، ولا يبالي باحتمال طول السرى. والوجه الأول أولى، لأنه سلم وصبر على التأخر ولم يقاتل، وإنما قاتل بعد انعقاد الإمامة له. (ابن أثير، ٢٠٠٢م: ١٨٥)

(ج) التشبيه بخضمة الإبل:

ومن الصفات الواردة للإبل حال أكلها هي عبارة «خضم الإبل» المستخدمة في الخطبة الشقشقية. ومما لاشك فيه أن الخطبة «الشقشقية» مليئة بالتبرم والامتعاض مما حدث

حول الخلافة وخاصة في زمن الخليفة الثالث، لذلك نجد الإمام علي عليه السلام في يبين هضم الحقوق من قبل الأمويين يصف هذه الأوضاع بخضم الإبل للنبات الربيعي فيقول في ذلك: «... وَقَامَ مَعَهُ بَنُو أَبِيهِ يَخْضَمُونَ مَالَ اللَّهِ خِضْمَةَ الْإِبِلِ نَبْتَةَ الرَّبِيعِ» (دشتي، ١٣٨٦: ٢٠).

وهي قسم من الخطبة المسماة بالخطبة «الشَّقْشِقِيَّة» لوصف عثمان الخليفة الثالث. فيوجد في هذه العبارة أنواع التشبيه حيث شبه الإمام عليه السلام عثمان ومَن معه وأكلهم أموال المسلمين دون اكرثات بأكل الإبل للنبات الربيعي وهذا تشبيه مركب بمركب وهو تشبيه محسوس بمحسوس أيضاً. فوجه الشبه فيه هو الأكل دون الاكرثات وهو هيئة حاصلة من متعدد. وقد شبه الإمام عليه السلام أموال المسلمين بالنبت الربيعي حيث يكون مستساغاً للأكل وفي المجال الاستعاري نستطيع أن نقول بأن الإمام استعار لفظة الخضمة وأضافها للإبل لبيان أكل حقوق الآخرين.

والخضم أكل بكلِّ الفمِّ وضده القضم وهو الأكل بأطراف الأسنان وقيل الخضم أكل الشيء الرطب والقضم أكل الشيء اليابس وعلى التفسيرين يكون مقصوده هو أنهم على قدم عظيمة من النهم وشدة الأكل وامتلاء الأفواه وقال أبوذر رحمه الله تعالى إن بني أمية يخضمون ونقضم والموعد لله والماضي خضمت بالكسر ومثله قضمت. والنبتة بكسر النون كالنبات تقول نبت الرطب نباتا ونبتة وانتكث قتله انتقض وهذه استعارة وأجهز عليه عمله تمم قتله يقال أجهزت على الجريح مثل ذففت إذا أتممت قتله وكبت به بطنته كبا الجواد إذا سقط لوجهه والبطنة الإسراف في الشَّبَع. (ابن أبي الحديد، ١٤١٥هـ: ١٩٧)

ابن اللبون

يستخدم الإمام علي عليه السلام لفظة «ابن اللبون» وهو ولد الناقة للابتعاد عن الفتن التي لا طائل من وراءها وهي التي تؤجج النار في المجتمع الإسلامي فيقول: «كُنْ فِي الْفِتْنَةِ كَابِنِ اللَّبُونِ لَا ظَهْرٌ فَيَرْكَبُ وَلَا ضَرْعٌ فَيُحَلَبُ» (دشتي، ١٣٨٦: ٤٤٤).

والفتنة، إسم يقع على كل شر وفساد. والابن اللبون: ولد الناقة إذا استكمل السنة الثاني. (ولا ظهر فيركب): أي لا يستفاد منه في الركوب أو الحمولة لضعفه. (ولا ضرعٌ فيحلب): ولا ذات لبن فينتفع بلبنها.

يرسم لنا الإمام حالة الشخص المحايد عن الفتنة أو من أراد ألا يدخل الفتنة فيطلب منه أن يكون «كابن اللبون» الذي لا يحلب ولا يركب حتى يكون في أمان من الفتنة. في هذه العبارة

نجد الشّبّه والاستعارة حيث شبه الإمام حال الذي أراد الابتعاد عن الفتنة أن يكون كابن اللبون؛ لأنه لا تأثير له في الأمور. فالشبه الشخص الموصى بالابتعاد من الفتنة والمشبه به هو ابن اللبون الذي لم يبلغ القدرة. ووجه الشّبّه عدم الفائدة والمراد هو الابتعاد عن الفتنة ومن ناحية أخرى نجد في عبارة لا ظهر فيركب. لا ضرع فيحلب نوعاً من الاستعارة المكنية حيث حذف المشبه به وذكر بعض لوازمه وهو الضرع والركوب والجامع هو عدم الفائدة.

«واللبون من الإبل والشاة هي ذات اللبن قل وكثر وإذا كانت ذات لبن في كل أحيانها فهي لبون. وولدها في تلك الحال: ابن لبون» (الفرايدي، ١٤١٠، ج: ٨، ٢٢٦). وابن اللبون فصيل الناقة قبل أن يقوى ظهره للركوب، يصلح ضرعها للحليب، ظهر بالرفع اسم "لا" العاملة عمل ليس على مذهب الحجازيين، خبرها محذوف، التقدير لا ظهر صالحاً للركوب، ولا ضرع صالحاً للحليب، الفعل المضارع هنا منصوب بـ«أن» المضمر بعد الفاء لوقوعها بعد النفي المحض مثل ما أعرف دارك فأزورك أي كي أزورك.

والمراد بالفتنة هنا الباطل، والمعنى إذا رأيت باطلا فلا تدخل فيه، احذر من أهله أن يخذعوك ويستغلوك في أغراضهم ومآربهم.. وسكت الإمام في حكمته هذه عن الحق وأهله، ليس معنى سكوته عنه وعنهم أنه ينهى عن الدخول في شأن المحقين ومناصرتهم، انه يساوي بينهم وبين المبطلين...، لأن مثل هذا الكلام يقتصر فيه على دلالة المنطوق دون المفهوم.. هذا، الى أن كلمات الإمام ووصاياه بنصرة الحق وأهله تجاوزت حد الإحصاء، من ذلك قوله لولديه الحسن والحسين عليهما السلام «كونا للظالم خصماً، للمظلوم عوناً». كما جاء في الرسالة ٤٦، ذمه للذين لم يحاربوا معه الناكثين بأنهم لم ينصروا الحق، لم يخذلوا الباطل. وخفي المعنى المراد من هذه الحكمة على كثير من الشارحين، خبطوا فيه، فهموا منه أن الإمام أمرنا بأن نسكت أيام الفتنة، نمتزل إذا رأينا باطلا يتبعه قوم ويعارضه آخرون، حتى ان بعض الشارحين قال "أراد الإمام أن يكون الإنسان أيام الفتنة ضعيفا غير مستكثر من المال". ولا أعرف السبب الموجب لحشر المال هنا! وحاشا لله وللإمام الذي أوقف نفسه للحق، ضحى بها في سبيله أن يأمر بالفرار من جهاد الباطل والفساد.

في هذه الحكمة النورانية البليغة ينبهنا الامام عليه السلام إلى توخي الحيطة والحذر عند حصول الفتنة في أي وقت وعدم الانجرار وراء المطبئين والسياسيين الانتهازيين الظالمين وعدم التعاون معهم.

النّاقة وصفاتها

لقد استعملت لفظة «النّاقة» في مجال الشّبّه والاستعارة والكناية مع ذكر بعض لوازمها في أماكن عدة من كتاب نهج البلاغة لبيان مدلولات خاصة منها:

(أ) الصّعبة:

جاء استخدام وصف النّاقة «الصّعبة» لمن أراد دن يمسك زمام الأمور في المجال السياسي، فنراه يستخدم الطبايق في جانب التركيب الاستعاري قائلاً: «فصاحبها كراكب الصّعبة إنّ أشنق لها خرم وإنّ أسلس لها تقحّم» (دشتي، ١٣٨٦ش: ٣٠).

الصّعبة: النّاقة الشّديدة التي يصعب قيادها. والصعب: نقيض الذلول. (طريحي، ج ٢، ص ٩٩) وأشنق النّاقة: جذبها إليه بالزّمام، وخرم أنف النّاقة: شقّه، وأسلس للنّاقة: أرخى لها الزّمام. ولشدّ ما تشطّرا ضرعيها: ضمير في «تشطّرا» يعود لأبي بكر، و«هاء» ضرعيها في العبارة السّابقة للخلافة وشبهها ال:مام عليه السلام بالنّاقة يقتسم منافعها ولكل منها ضرع يحتلبها. «فصاحبها كراكب الصّعبة إنّ أشنق لها خرم، وإنّ أسلس لها تقحّم»: أي: من كانت له طبيعة كهذه كان أشبه براكب النّاقة الشّموس، إنّ كفه بالزّمام خرم أنفها وشقّه، يعني ومن أرخى زمامها صارت حياته في كف عفريت.

فقد شبه الإمام حال من يمسك زمام الأمور أو من تكون له نفس ترغب بالمخاطر والمخاوف كمن يركب النّاقة الصّعبة التي يكون ترويضها صعب على راكبها. فهذا هو تشبيهه مركب بمركب ووجه الشّبّه فيه أيضا صورة حاصلة من متعدد وهو عدم الانقياد وعدم التمكين من ضبط الأمور.

قال الشّريف رضي الله عنه قوله عليه السلام: «راكب الصّعبة إنّ أشنق لها خرم وإنّ أسلس لها تقحّم يريد أنه إذا شدد عليها في جذب الزّمام وهي تنازعه رأسها خرم أنفها وإنّ أرخى لها شيئا مع صعوبتها تقحمت به فلم يملكها يقال أشنق النّاقة إذا جذب رأسها بالزّمام فرفعه وشنقها. (ابن أبي الحديد، ١٤١٥: ١٩٧) أيضا ذكر ذلك ابن السّكيت في إصلاح المنطق وإنما قال الإمام عليه السلام أشنق لها ولم يقل أشنقها لأنه جعله في مقابلة قوله أسلس لها فكأنه ع قال إنّ رفع لها رأسها بمعنى أمسكه عليها بالزّمام له» (ابن أبي الحديد، ١٤١٥: ٣١).

(ب) التشبيه بحبل النَّاقَة وغاربها:

نجد الإمام عليه السلام في ذم الخلافة والإمارة والاشمئزاز من الدنيا يستخدم الأسلوب الاستعاري وذلك في قوله: «لَأَلْفَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا» (دشتي، ١٣٨٦ ش: ٣٠) فهذه عبارة وجيزة ذات دلالات بلاغية بما فيها من التركيب الاستعاري حيث شبه الإمام كراهية من الإمارة بحال من يرسل النَّاقَة وتاركها على حالها مشعرا بذلك أنه لارغبت له فيها. والنَّاقَة أوالدابة التي يلقي حبلها على غاربها تكون مرسلة متروكة تذهب بأي اتجاه رفت فيه. فهذه استعارة مكنية لأن لإمام حذف المشبه به وهي الدابة أوالنَّاقَة وذكر بعض لوازمها وهوالحبل والغارب. ومن جانب آخر فهي استعارة مرشحة من أجل ذكر ما يلائم المستعار منه.

(ج) التشبيه بالنَّاقَة النَّابِ الضَّرَّوسِ:

وفي ذمِّه لبني أمية والحذر من مقبَّات الأمور بعده، يشبه هذه الحالة بالنَّاقَة النَّابِ والضَّرَّوسِ التي تقضم كل ما تجده دون اكرثات فيقول:

«وَأَيْمُ اللَّهِ لَتَجِدَنَّ بَنِي أُمَيَّةَ لَكُمْ أَرْبَابَ سُوءٍ بَعْدِي كَالنَّابِ الضَّرَّوسِ تَعْدِمُ بِفِيهَا وَتَخْبِطُ بِيَدِهَا وَتَزِينُ بِرِجْلِهَا وَتَمْنَعُ دَرَّهَا» (دشتي، ١٣٨٦ ش: ١٢٢).

النَّابِ: النَّاقَة المسنَّة. الضَّرَّوسِ: السَّيِّئَة الخلق تعضُّ حالبها تعذب: تأكل بخفاء وتععض. تزين: تضرب. (خوئي، ١٣٨٢ ش: ٧٢)

فالمشبه في هذه العبارة هم بنو أمية، والمشبه به النَّاقَة النَّابِ والضَّرَّوسِ، والأداة هي الكاف ووجه الشبه هو التخبط والتهميش والظلم. وفي هذه العبارة يوجد مجاز مرسل وعلاقة هذا المجاز ما يؤول إليه. ثم أخذ الإمام يسرد في وصف هذه النَّاقَة وهذه هي استعارة تصريحية. فقد استعر النَّابِ للنَّاقَة التي تعض والضَّرَّوسِ التي السَّيِّئَة الخلق لأحوال بني أمية وهذا هو ما حدث فينا بعد.

ولما كانت صفات الإنسان وأخلاقه وميوله وأحاسيسه منبثقة عن عناصر الحياة التي تتحد فتؤلف ما نسميه شخصية الإنسان، فهي متعاطية متداخلة، تثبت ذلك الملاحظة الطويلة والموازنة الدقيقة.

التشبيه بالجمل

عرفت الواقعة التي حدثت بين أصحاب أمير المؤمنين علي عليه السلام وبعض الصحابة وعايشة زوج الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في اطراف البصرة بوقعة الجمل؛ لأن عايشة وقتئذ كانت على الجمل وتحت

النَّاسَ عَلَى قِتَالِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْتَهتِ الْمَعْرَكَةَ لِصَالِحِ الْإِمَامِ وَقَتَلَ طَلْحَةَ وَالزَّيْبِرَ فِي أَثْنَاءِ الْمَعْرَكَةِ. فَيُعِيرُ الْإِمَامَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْمَسَاهِمِينَ فِي هَذِهِ الْمَعْرَكَةِ بِأَنْهُمْ أَصَابَ الْجَمَلَ وَكَانُوا تَبَعًا لَهُ فَيَقُولُ: «بَلِيَتْ فِي حَرْبِ الْجَمَلِ بِأَشَدِّ الْخَلْقِ شَجَاعَةً، وَأَكْثَرَ الْخَلْقِ ثَرْوَةً وَبِدَلًا» (جرداق، د.ت: ١٠٨).
وَفِي ذَمِّ أَهْلِ الْبَصْرَةِ بَعْدَ مَوْقِعَةِ الْجَمَلِ: «كُنْتُمْ جُنْدَ الْمَرْأَةِ وَأَتْبَاعَ الْبَهِيمَةِ رَغَا فَأَجَبْتُمْ، وَعَقَرَ فِهْرَبْتُمْ» (دشتي، ١٣٨٦ ش: ٣٦).

فِي عِبَارَةِ «جُنْدَ الْمَرْأَةِ» مَجَازٌ مَرْسَلٌ حَيْثُ قَصِدُ مِنَ الْمَرْأَةِ عَائِشَةَ زَوْجِ الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْغَرَضُ مِنَ الْبَهِيمَةِ الْجَمَلُ الَّذِي سَمِيَتْ بِهِ الْحَرْبُ.

(أ) التَّشْبِيهُ بِ«جَمَلِ أَهْلِكَ»:

مِنْ كِتَابٍ لَهُ إِلَى الْمَنْذَرِ بْنِ الْجَارُودِ الْعَبْدِيِّ، وَقَدْ خَانَ فِي بَعْضِ مَا وَلَّاهُ مِنْ أَعْمَالِهِ فَوَبَّخَهُ قَائِلًا لَهُ: «وَلْتَنْ كَانَ مَا بَلَّغْنِي عَنْكَ حَقًّا لَجَمَلِ أَهْلِكَ وَشَسَعُ نَعْلِكَ خَيْرٌ مِنْكَ» (دشتي، ١٣٨٦ ش: ٤٣٦) وَالْجَمَلُ عَادَةٌ يَضْرِبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي الذَّلَّةِ وَالْجَهْلِ. فَقَدْ فَضَّلَ الْإِمَامُ الْجَمَلَ وَشَسَعَ النَّعْلِ مَقَارَنَةً بِأَنَّ الْمَنْذَرَ إِنْ كَانَ فَعَلَ مَا بَلَّغَ عَنْهُ وَهِيَ الْخِيَانَةُ بِالْأَمْوَالِ.

التَّشْبِيهُ بِالضَّبْعِ (عَرَفَ الضَّبْعَ)

فِي مَقْطَعٍ مِنْ خُطْبَةِ الشَّقَشَقِيَّةِ يَذْكُرُ الْإِمَامُ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِصْرَارَ النَّاسِ بَعْدَ مَقْتَلِ الْخَلِيفَةِ عَثْمَانَ عَلَى مَبَايِعَتِهِ بِالْخِلَافَةِ، ثُمَّ تَفَرَّقَ «النَّاكُثِينَ» وَ«الْمَارِقِينَ» وَ«الْقَاسِطِينَ» عَنْهُ، فَيَقُولُ: «فَمَا رَأَعَنِي إِلَّا وَالنَّاسُ أَلَى كَعْرَفِ الضَّبْعِ يَنْثَالُونَ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ حَتَّى لَقَدْتُ وَطِيَّ الْحَسَنَانَ وَشَقَّ عَطَافِي مَجْتَمِعِينَ حَوْلِي كَرَبِيضَةِ الْغَنَمِ» (دشتي، ١٣٨٦ ش: ٣٠).

أَيُّ مَا أَفْزَعَنِي شَيْءٌ كَمَا أَفْزَعَنِي إِزْدِحَامُ النَّاسِ مِثْلَ عَرَفِ الضَّبْعِ؛ لِأَنَّ عَرَفَ الضَّبْعِ - مَا كَثُرَ عَلَى عُنُقِهَا مِنَ الشَّعْرِ، وَهِيَ حَيْوَانٌ مَفْتَرَسٌ - تُخِينُ يَضْرِبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي الْكَثْرَةِ وَالْإِزْدِحَامِ، إِذْ كَانَ النَّاسُ يَنْثَالُونَ أَيُّ يَتَّبَعُونَ مَزْدَحْمِينَ. (وَشَقَّ عَطْفَايَ): أَيُّ جَانِبَايَ، لِشِدَّةِ الْإِصْطِكَاعِ وَكَثْرَةِ الْإِزْدِحَامِ شَقُّوا قَمِيصَهُ وَجَانِبِي رَدَائِهِ أَوْخَدَشَ جَانِبِيهِ لِشِدَّةِ الْإِصْطِكَاعِ مِنْهُمْ وَالزَّحَامِ. (رَبِيضَةُ الْغَنَمِ): الْقِطْعَةُ الرَّابِيضَةُ مِنَ الْغَنَمِ. وَرَبِيضَةُ الدَّابَّةِ: بَرَكْتُ. الْغَارِبُ: الْعُنُقُ أَوْ أَعْلَى الظَّهْرِ مِمَّا يَلِي الْعُنُقَ. وَيُرِيدُ بَعْضُ الْعَنْزِ الْمُخَاطِ الَّذِي تَنْثَرُهُ فِي أَنْفِهَا عِنْدَ الْعَطَاسِ.

شَبَّهَ الْإِمَامُ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ اتِّبَاعَ النَّاسِ إِلَيْهِ لِلْبَيْعَةِ وَتَجْمَعُهُمْ حَوْلَهُ بِعَرَفِ الضَّبْعِ: وَهُوَ مَا كَثُرَ عَلَى عُنُقِهَا مِنَ الشَّعْرِ، فَوَجَّهَ الشَّبَّهَ هُوَ التَّجْمَعُ وَالْكَثَافَةُ وَالْإِحَاطَةُ بِهِ. فَهَذَا تَشْبِيهٌُ مَحْسُوسٌ

بمحسوس وقد استعار الإمام لهذا التجمع لفظة «عرف الضَّبَع» للتشابه بينهما من جهة الكثافة ويعني انشغال النَّاس والازدحام للبيعة. والتشبيه الثاني جاء في عبارة: «مُجْتَمِعِينَ حَوْلِي كَرَبِيضَةِ الْغَنَمِ»، فقد شبه تجمع النَّاس حوله بريضة الغنم التي تستقر في مكانها بعد السير الطويل وتبرك دون القيام. فقد استعار الإمام لبيان هذه الحالة لفظة الرَّبِيضَة الرَّائِكَة للتشابه بينهما للركون والجامع هو الانصياع والاتباع والانتظار.

ومن الطبيعي أن يكثر في كلام علي النِّقْد والتعريض والشُّكوى والعتاب، فالظروف قد عاكسته، وكان يشعر بالألم ممَّا يراه من انحرافات بدأت بالظهور في المجتمع الإسلامي، ثم من الفتن التي برزت في عصر خلافته. فالنَّاس اندفعوا بشوق ولهفة الى الإمام علي عليه السلام يريدونه أن يكون لهم. وليكن أمير المؤمنين عليه السلام يرى للحكم شأنًا واقعا. أهل الشام أغلق كلَّ رجل منكم بابه، وانجحر انجحر الضَّبَّة في جحرها والضَّبَع في وجارها.

التشبيه بالسَّبَع

في المجال التربوي والإرشادي نجد في وصايا الإمام علي عليه السلام حكم بارعة في شأن الحديث ومسك اللسان عن عبث الكلام؛ لأن جرح اللسان ليس له التَّأْم واللسان كالسَّبَع إن ترك يعقر ما دونه فيكون ضاراً بدل أن يكون نافعاً فيقول الإمام في ذلك: «اللسانُ سَبَعٌ إنْ خَلِيَ عَنْهُ عَقَرَ» (دشتي، ١٣٨٦ ش: ٤٥٢). عقر البعير عقرا: قطع إحدى قوائمه ليستقط ويتمكّن من ذبحه. والمراد تقليل الكلام ليأمن الخطأ. طبقا للحكمة القائلة من كثر كلامه كثر خطأه.

فقد شبه الأمام اللسان بالسَّبَع وأتى بقيد الجملة باستخدام ادوات الشَّرط ليبين مدلول ذلك فهذا تشبيه بليغ وهو أبلغ أنواع التشبيه؛ لأنه مبني على ادعاء أن المشبه والمشبه به شيء واحد. ووجه الشبه في العبارة هو الضَّرر النَّاتج من الفلتات وفك القيود وعدم الإمساك به والغرض من التشبيه هو بيان حال المشبه؛ لأنَّ اللسان كثير الحركات والعثرات، لا بد من مراقبته وسجنه وإلا أهلك وافنى.

التشبيه بالكلب

من كتاب له إلى عمرو بن العاص يوم لحق بمعاوية:

فَأَنَّكَ قَدْ جَعَلْتَ دِينَكَ تَبَعًا لِدُنْيَا أَمْرِي ظَاهِرٍ غَيْبُهُ، مَهْتُوكِ سِتْرِهِ، يَشِينُ الْكَرِيمَ بِمَجْلِسِهِ،
وَيُسْفَهُ الْحَلِيمَ بِخَلْطِهِ. فَاتَّبَعْتَ أَثْرَهُ، وَطَلَبْتَ فَضْلَهُ "أَتَبَاعُ الْكَلْبِ لِلضَّرْغَامِ يُلَوِّدُ بِمَخَالِبِهِ"،
وَيَنْتَظِرُ مَا يَلْقَى إِلَيْهِ مِنْ فَضْلِ فَرِيْسَتِهِ. (دشتي، ١٣٨٦ ش: ٢٨٨)

قد ضرب الإمام عليه السلام مثلاً لابن العاص من أجل اتباعه لمعاوية، مثل الكلب التابع للأسد يلوذ به وقت الشدة وبيتغة الغوت من فضل أكله وفريسته. وعمرو بن العاص هو أشبه به . فنرى في هذه العبارة التشبيه التمثيلي والمشبّه هو عمرو بن العاص والمشبّه به الكلب ووجه الشبّه الاتباع حسب المصالح وهذا هو التشبيه المؤكّد وهو أوجز وأبلغ وأشدّ وقعا في النفس. نعم هكذا الأمر والواقع فإنه إذا ما دنت النفوس غربت عنها المكارم الإنسانيّة والأخلاق المرصيّة، ورسخت فيها أصدادها واستحكمت خلال البهائم والسباع فيها إلى الغاية، فإذا استولى الغضب عليها فأسدّ مفترسٌ لا همّ له سوى الافتراس، وإذا ملكها الطمع فصاحبها كلب لائذ ينتظر ما يلقى إليه، أو الاحتيال فتغلب. وهلمّ جرّاً في كلّ خصلة تختصلها السباع والحيوانات، تنكشف لذوي البصائر من الناس فضلاً عن أمير المؤمنين الذي يرى الأشياء كما هي. إذا وصف شيئاً منحه نعوته الجديرة به؛ لأنّه عليه السلام الحكّم العدل الذي يعطي كلّ ذي حقّ حقه، فمن نظر إلى معاوية وابن العاص وجد خلال التي بينهما الإمام عليه السلام من الفسق وشين تعبير الكريم وتسفيه الحليم فيهما، وأنّهما يجريان مجرى الكلاب والأسود عند الفريسة، تابعة متبوعة.

التشبيه بالماعز

وفي بيان شدة أمر الخوارج وادعائهم الباطل يصفهم بالماعز وذلك عندما نادى البرج بن مسهر شاعر مشهور من شعراء الخوارج، نادى بشعارهم. قائلًا له: لا حكم إلا لله ويسمع الإمام عليه السلام الشعار فلا يحاوره؛ لأنه لا يقبل الحوار ولا يسمع الكلام فعدل الإمام عن ذلك إلى اهانتة وتبكيته لان الحوار فقد مفعوله وتعطل دوره فكان لا بد من مواجهه القاسية التي ترد هذا الضالّ وتسقطه وتحط من شأنه فقال له الإمام عليه السلام داعياً عليه مستصغراً شأنه. «اسكت قبّحك الله يا أترم فوالله لقد ظهر الحقّ فكنتفيه ضئيلاً شخصك خفياً صوتك حتّى إذا نعر الباطل نجمت نجوم قرن الماعز» (دشتي، ١٣٨٦ش: ٢٥٤).

اللغة: قبّح: القبح والقباحة: نقيض الحسن، عام في كل شيء. وقبّحه الله: نحاه عن كل خي. (الفراهيدي، ١٤١٠هـ: ٥٢) وقبّحك الله: كسرك يقال قبّحت الجوزة كسرتها وقيل معناه نحاك الله عن الخير. الضئيل: الدقيق، التّحيف، الصّغير. نعر: صاح. نجم: طلع وظهر. القرن: عظم ناتئ ثابت في راس الماعز وغيرها.

«اسكت» كلمه استصغار لان كلامه يفضب الرَّحْمَن، اسكت فالكلام عليك حرام وانت تعصى الله في حديث.

«قبحك الله يا اثرم» نحاك الله عن الخير دعاء عليه بالكسر والبعد عن الخير ووصفه بالاثرم لانها عاهه فيه واصحاب العاهات يعيرون بما فيهم إذا صدر منهم القبيح ثم أقسم أنه قد ظهر الحق فكان له رجال وأبطال وقاده ولم يكن هذا الرجل إلا صغيرا حقيرا فيه لم يعده أحد من رجال الحق ورواده ولم يسمع أحد صوته يرتفع في نصرته والدفاع عنه. نعم عند ما ظهرت الفتنة وارتفع صوت الباطل ظهرت إلى الوجود فجاء ظهور قرن الماعز شبه ظهوره في الفتنة بقرن الماعز توهينا له وتحقيرا لحقاره قرن الماعز.

التشبيه بدامية المعزي

في خطب عديدة من نهج البلاغة نجد الإمام يستخدم لفظة المعزي وهي السخلة الخائفة تارة لبيان الجبن والخوف الذي ينتاب بعض أصحابه وتارة لبيان كثرة العبادة وأثر السجود يشبهها بركب المعزي حيث توجد آثار وثقائن من كثرة البروك على الأرض.

وقد حذر الإمام علي عليه السلام أحد عماله عن الخيانة بأموال المسلمين قائلاً له: «فَلَمَّا أُمَكَّنْتِكَ الشَّدَّةَ فِي خِيَانَةِ الْأُمَّةِ أَسْرَعْتَ الْكُرَّةَ وَعَاجَلْتَ الْوَيْبَةَ وَاحْتَطَفْتَ مَا قَدَرْتَ عَلَيْهِ مِنْ أَمْوَالِهِمْ الْمَصُونَةَ لِأَرَامِلِهِمْ وَأَيْتَامِهِمْ اخْتِطَافَ الذُّبِّ الْأَزْلَ دَامِيَةَ الْمِعْزَى الْكَسِيرَةَ» (صالح، ١٤١٢هـ: ٧٢).

كما يختطف ذئب جلد شاة مجروحة فهو عليها أجراء، والأزل: الخفيف الوركين. والاختطاف: الاستلاب والمعزي والمعز من الغنم خلاف الضأن، وكلاهما اسم جنس، الواحد ما عز. والكسيرة: المكسورة، وهي صفة الدامية، وهي الشاة التي تدمى بعد أن جرحت وإن لم يسس الدم. (خوئي، ١٣٨٣: ١٣٧)

والذئب الأزل الخفيف الوركين وذلك أشد لعدوه وأسرع لوثبته وإن اتفق أن تكون شاة من المعزي كثيرة ودامية أيضا كان الذئب على اختطافها أقدر. فقد شبه الإمام اختطاف أموال المسلمين من قبل الوالي باختطاف الذئب السريع المعزي المكسورة الدامية التي لا تستطيع الفرار. بهذا تشبيه مؤكد مجمل تمثيل والطرفان فيه حسيان.

أ) التشبيه بنفور المعزي:

وعند تقاعص أصحابه عن لقاء العدو وتشتت آراءهم في مجال الدفاع عن الحق وبيان

نفورهم عنه يشبههم بنفور المعزى عن صوت الأسد قائلاً: «أَيْتَهَا النَّفُوسُ الْمَخْتَلِفَةُ وَالْقُلُوبُ الْمَتَشَتِّتَةُ الشَّاهِدَةُ أَيْدَانَهُمْ وَالْغَائِبَةُ عَنْهُمْ عَقُولُهُمْ أَظَارَكُمْ عَلَى الْحَقِّ وَأَنْتُمْ تَنْفِرُونَ عَنْهُ نَفُورَ الْمِعْزَى مِنْ وَعُوعَةِ الْأَسَدِ» (دشتي، ١٣٨٦ش: ١٧٤).

«أظاركم» أي: أعطفكم «على الحق وأنتم تنفرون عنه نفور المعزى من وعوعة» يقال: سمعت وعوعة القوم أي: اختلاط أصواتهم، ويسمى ابن آوى الوعوع، والوعوعة صوت الديك إذا دارك، وكذلك الذئب في عدوه. (ابن دريد، ١٩٩٨م: ١٦٠) هذا تشبيه بليغ وجاء المشبه به مصدراً مبيناً للنفور في قوله نفور المعزى. وحصل عن طريق الإضافة.

ب) التشبيه بركب المعزى:

وفي شأن أصحابه من أجل تقصيرهم وتكاسلهم في أمر العبادة وتمجيد صحابة الرسول ﷺ وخلوض نياتهم، يروى أنه ﷺ صَلَّى الْغَدَاةَ ثُمَّ جَلَسَ حَتَّى ارْتَفَعَتِ الشَّمْسُ كَأَنَّ عَلَيْهِ كَابَةً، ثُمَّ قَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُ إِثْرًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَمَا أَرَى أَحَدًا يَشْبَهُهُمْ. (ابن قتيبة، ١٩٩٨م: ٣٠١) فقال:

« وَيَقْفُونَ عَلَى مِثْلِ الْجَمْرِ مِنْ ذِكْرِ مَعَادِهِمْ كَأَنَّ بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ رُكْبَ الْمِعْزَى مِنْ طَوْلِ سُجُودِهِمْ ».

«يقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم: المراد قلقهم وخوفهم من ذكر المعاد، والعرض على الله تعالى فيكون حالهم مثل الواقف على النار وكأن بين أعينهم ركب المعزى: إن جباههم اسودت من كثرة سجودهم، وصارت كركب المعزى، وثقنات البعير» (ابن أبي الحديد، ١٤١٥هـ: ٩٣). فالإمام علي ﷺ شبه أحوال صحابة الرسول ﷺ حال العبادة والآثار على جباههم من أثر السجود بركب المعزى التي فيها الثقنات فهذا تشبيه محسوس بمحسوس ووجه الشبه هو الأثر الحاصل في البدن وهو تشبيه مرسل من أجل ذكر أداة التشبيه.

بيان عظمة الخالق في المخلوقات

في مقطع من خطب نهج البلاغة نجد الإمام علي ﷺ في بيان عظمة الخالق ينوه إلى عجائب خلقه البارئ عز وجل في الوحوش والنباتان باستخدام أسلوب الجناس وذلك في قوله: وقد بلغ هذا الأسلوب من الصدق وتبيين الواقع حدًا ترفع به حتى السجع عن الصنعة والتكلف. فإذا هو على كثرة ما فيه من الجمل المتقاطعة الموزونة المسجعة، أبعد ما يكون عن الصنعة، وأقرب ما يكون من الطبع الزاخر.

فانظر الى هذا الكلام المسجّع والى مقدار ما فيه من سلامة الطبع: «يَعْلَمُ عَجِيجَ
الْوَحُوشِ فِي الْفَلَوَاتِ وَمَعَاصِي الْعِبَادِ فِي الْخَلَوَاتِ وَإِخْتِلَافَ النَّيْنَانِ فِي الْبِحَارِ الْغَامِرَاتِ
وتلاطم الماء بالرياح العاصفات» (دشتي، ١٣٨٦ش: ٢٩٤).

«اللغة: العجيج: رفع الصّوت. الوحوش: جمع وحش وهو حيوان البر. الفلوات: جمع فلاه
الصّحراء الواسعه. الخلوات: جمع خلوه مكان الاختلاء الذي ليس فيه أحد. النّينان: جمع نون:
الحوت. النّون: الحوت، والجمع أنوان ونينان، وأصله نونان فقلبت الواوياء لكسرة النّون» (ابن
منظور، ٢٠٠٤م: ٤٢٧). «والغامرات: غمر الماء غمارة: كثر حتى ستر مقره» (المجلسي، ١٤٠٤هـ: ٧٧).
فهذا أسلوب تتوفّر فيه صراحة المعنى وبلاغة الأداء وسلامة الذوق؛ لأن له صلة تامة
بحكمة البارئ وقدرته وعلمه الحيط بجميع المخلوقات. ومن جانب آخر نجد الإيقاع الموزون
وكانه إيقاع الآيات تردّ النّعم على النّعم ردّاً جميلاً. وتتفجّر كلمات الإمام من ينابيع بعيدة
القرار في مادّتها، وبأية حلّة فنيّة رائعة الجمال تمور وتجري. (خوئي، ١٣٨٣ش: ٣١)

النتائج

بعد استقراء عبارات كتاب نهج البلاغة، وتجميع الخطب والأقوال الواردة في مواصفات
بعض الحيوان توصلنا إلى النتائج المرجوة التّالية:

- لقد ذكر العديد من الحيوانات والبهائم منها الإبل وابن اللبون، والمعزى وما يتعلق
بها من مواصفات في نهج البلاغة وذلك من أجل الأغراض البلاغية والدلالات
الفنيّة.
- إن الشّبّهات المستعملة لبيان صفات الحيوانات هي تشبّهات متشابكة بما فيها من
التشبيه الاستعاري والتشبيه التمثيلي وإدخال التشبيه بالاستعارة، الأمر الذي يؤدي
إلى اتّساق المدلولات وتعاضدها لأداء المقصود كما ذكر في استخدام لفظة «الإبل
والنّاقة».
- لا شك أن التّويه للطبيعة الصّامته والصّائتة من قبل الإمام علي عليه السلام هي خطوة
كبيرة في مسير هداية النّاس وإرشادهم الفكري والوجداني كما أنّ لها منزلة
عالية من حيث الأدب والفنّ. هذه الخطب مملوءة بالصّور الفنيّة المتحركة التي قد
خلّقت جواً ملموساً ومحسوساً للمخاطبين وذلك من أجل تعضيد وتعزيز المدلول

- البلاغي والهادف إلى إيصال المقصود كما لمسناه في استخدام لفظة «عرف الضيغ» لبيان انثيال النَّاس حوله للبيعة.
- إن الإمام عليه السلام قد جعل خطبه أكثر تحركاً وفهماً بالاستخدام الدقيق للتشبيهات الحسية والاستعارات القوية والألوان المتنوعة والأصوات الدالة على المعنى والتناقض والصَّور الفنيَّة الدقيقة. فهو يجعل موضوعات الديانة والعدالة والجهاد في سبيل الحقّ و... في أذهان المخاطبين بواسطة الاستعارات والشبَّهات.
- نجد تدفق البلاغة وملامحها في وصف الإبل والنَّاقة وفصيلها وابن اللبون لأغراض متفاوت وذلك من وراء الاهداف المنشودة مما يسبب تأزر العبارات بعضها ببعض من خلال المحسنات اللفظية والمعنوية أيضاً. ويتميّز أسلوبه عليه السلام في مثل هذه المواضع، بال تكرار بغية التقرير والتأثير، وباستعمال المترادفات وباختيار الكلمات الجزلة ذات الرنين. وقد تتعاقب فيه ضروب التعبير من إخبار الى استفهام إلى تعجب إلى استنكار وتكون مواطن الوقف فيه قويّة شافية للنفس. وفي ذلك ما فيه من معنى البلاغة وروح الفن، تجمع روعة هذه الصِّفات في اللفظ إلى روعة المعنى وقوّته وجلاله.
- وفي الختام يجدر بنا القول أنّ خطب الإمام ورسائله وكلماته القصار مع ما فيها من وجوه بلاغية هامة، فهي في الواقع آخذة من الفكر والخيال والعاطفة تتصل بالذوق الفني الرفيع ما بقي الانسان وما بقي له خيال وعاطفة وفكر مترابط ومتسق ومتساق، متفجّر بالحسّ والإدراك البعيد، متدفّق بلوعة الواقع وحرارة الحقيقة والشوق إلى معرفة ما وراء هذا الواقع، متآلف يجمع بين جمال الموضوع وجمال الإخراج حتى ليندمج التعبير بالمدلول، أو الشكّل بالمعنى.

المصادر والمراجع

١. دشتي، محمد (١٣٨٦ش). شرح نهج البلاغة. قم: الهادي.
٢. ابن أبي الحديد، أبو حامد (١٤١٥هـ). شرح نهج البلاغة. ج١ و٤، بيروت: مؤسسة الأعلمي.
٣. ابن الأثير، المبارك بن محمد (٢٠٠٢م). النّهاية في غريب الحديث والأثر. ج٢، بيروت: المكتبة العلمية.
٤. ابن دريد، محمد بن حسن (١٩٩٨م). جمهرة اللغة. ج١، بيروت: دار العلم للملايين.
٥. ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم (١٩٨٩م). عيون الأخبار. ج٢، بيروت: دار الكتب العلمية.
٦. ابن منظور، محمد (٢٠٠٤م). لسان العرب، ج١٣، بيروت: دار المعارف.
٧. حاجي خاني، علي؛ فرهنك نيا، أمير (١٤٢٨هـ). «أسلوبية بوزيمان الإحصائية ومدى إمكانية تطبيقها على صحة نسبة الخطبة الشقشقية إلى الإمام علي عليه السلام». مجلة اللغة العربية وآدابها، السنة ١٢، العدد ٣، صص ٤٧٥-٥٠٠.
٨. خوئي، ميرزا حبيب الله (١٣٨٣ش). منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة. ج٢ و٣، طهران: [دون نا].
٩. صالح، صبحي (١٤١٢هـ). تحقيق كتاب نهج البلاغة. قم: دار الهجرة.
١٠. الفراهيدي، الخليل بن أحمد (١٤١٠هـ). كتاب العين. ج٤ و٨، قم: انتشارات هجرت.
١١. عبده، محمد (١٤٢٤هـ). شرح نهج البلاغة. بيروت: الكتب العصرية.
١٢. المجلسي، محمد باقر (١٤٠٦هـ). بحار الأنوار الجامعة لدرر الأئمة الأطهار. ج١٦، بحار: مؤسسة بحار الأنوار.